العربية الفصحى

لغة التعبير الاعلامي

د. عبد العزيز محمد شرف

ان اللغة – شأنها في ذلك شأن الظواهر الاجتماعية الأخرى عرضة للتطور في مختلف عناصرها: أصواتها وقواعدها ومتنها ودلالاتها وانه ينبغي علينا أن نربط ما بين دراستنا للغة ودراستنا لأنواع النشاط الاجتماعي والانساني الأخرى وأن نفسر دلالة كل لفظ في إطار السياق الحقيقي الذي تنسب اليه، واللغة بهذا المفهوم تعد نمطا من أنماط السلوك البشري لا يؤدي وظيفة ثانوية فحسب بل يؤدي دورا وظيفيا خاصا به – دورا فريدا لا يمكن أن يحل محله شيء آخر

والكلمات المنفردة هي في الواقع تصورات لغوية لا وجود لها في الحقيقة اذ أنها نتاج تحليل لغوي متطور..

ذلك لأن طريقة الجماعية اللغوية في التفكير والشعور وأسلوبها في تجربة العالم واتخاذ موقف لا تتوقف في الحقيقة على بنية اللغة وما يطرأ عليها أثناء تطورها التاريخي المستمر من تغييرات أو يعرض لها من تقلبات ومصادفات – بل تتوقف على واقع الحياة التي تعيشها الجماعة اللغوية وتتحدد بالظروف التي تحيط بالناس.

فليست اللغة – على حد تعبير **الدكتور جنتر هيترة** – هي التي تحدد التاريخ بل ان الناس هم الذين يحددونه من خلال صراعهم الدائم مع العالم وموافقتهم المختلفة من الواقع ومواجهتهم المستمرة للبيئة.

فلم يسبق من قبل ان كان للكلمة المنطوقة أو المكتوبة مثل ما لها اليوم من قوة وسلطان فأصبحت كل هذه الأعداد البشرية تقرأها أو تسمعها في وقت واحد «**ان عصرنا وهو عصر الثورة العلمية والتكنولوجية هو كذلك عصر الوسائط الجماهيرية الحديثة**»(١).

لقد بلغ التواصل بين الناس أقصى مداه وأضخم أبعاده فقرّاء الصحف والكتب والمجلات يتزايد عددهم كل يوم وأجهزة الاذاعة المرئية والمسموعة تدخل الكلمة المنطوقة في كل بيت وتؤثر في نفس الوقت على تفكير مئات الألوف من الناس بل ملايينهم كما تؤثر على شعورهم وإرادتهم وسلوكهم.

وتصبح الوظيفة الاجتماعية للغة – موضوع «**علم الإعلام اللغوي**» أو ما يطلقون عليه «**علم المنفعة العلمية للغة**» معنى أو مغزى أو دلالة لغوية معينة بل هي وظيفة اجتماعية بحتة.. بحيث لا يمكن فصل الناحية اللغوية للعبارة عن السياق الاجتماعي والثقافي – فاللفظ يرتبط ارتباطا قويا بالموقف الذي يحدث فيه – أي بالناس والأشياء التي يتعاملون بها – هذا مما حدا بمالينوفيسكي أن يقول عبارته المأثورة في مقاله «**مشكلة المعنى في اللغات البدائية**» الكلام والموقف مرتبطان ببعضهما ارتباطا لا ينفصم وسياق الموقف لا غنى عنه لفهم الألفاظ.

ويذكرنا **كورتسيسكي** أن أغلب مشكلاتنا الاجتماعية متركزة حول مصطلحات غامضة كثيرة الصور – وهذه المصطلحات تتداخل مع انفعالاتنا تداخلا نتج عنه أن استجاباتنا الدلالية تصبح مختلطة أيما اختلاط – ويرجح **كورتسيسكي** الانحرافات الشخصية والقومية والعالمية الى «**ردود أفعال عصبية**» تستلزم اعادة التربية.

ويقول كورتسيسكي «إن أكثر شقائنا في حياتنا لا ينشأ في الميدان الذي تنطبق عليه «صادق» أو كاذب بل في الميدان الذي لا تنطبق عليه احدى هاتين الكلمتين

أي في المجال الكبير مجال الوظيفة النسبية والخلو المعنى حيث ينعدم الانفاق لا محالة «ويصف كورتسيسكي رموزا مثل «النقود» بأنها تجريدات بالغة القوة تحكم حياتنا عن طريق الذين يسيئون استعمالها – أي الذين يبرعون في استعمالات مضللة ويرى كورتسيسكي آخر الأمر كما رأى ثورمان ارنولد أن جل مشكلاتنا يتلخص في أن نعثر على من يستعمل رموزنا استعمالا صحيحا وقد درس ارنولد مشكلة «الرموز» بما فيها الكلمة وناقش سلطاتها علينا وحلل في كتابه المشهور «فولكلور الرأسمالية(٢) القوة السحرية التي تمتاز بها بعض العبارات الآسرة في اللغة الانجليزية الأميركية مثل الدستور ومؤسسو هذا البلد تحليلا يثير الضحك المر والسخرية وقضية ثورمان اننا يحكمنا من يسيئون استعمال ما للكلمات من سلطان، ويوجهونه الوجهة التي يرضونها ولكنه لا يقدم اقتراحا لوقف هذه الأساءة اللهم الا القيام بتمرينات «مقوية» في تعريفات الكلمات والموضوعات.

وهكذا يبدو لنا أن اتباع كورتسيسكي من أمثال ستيورات تشيزوهاياكاوا قد اهتموا بابراز مدى حاجتنا الى توضيح الموضوعات والأشياء والأسماء في مجالات مختلفة كالقانون، والاقتصاد والحكم والادارة والاجتماع ولكنهم يسرفون في الوعود اذ يرون أننا حالما نصل إلى التعريفات الواضحة للموضوعات والكلمات، وحالما ننحت الكلمات التي لا معنى لها فاننا نصل الى حل مشكلاتنا الاجتماعية.

ومعنى ذلك أن هذه المدرسة ترى أن الدراسة الدلالية – وهي دراسة لغوية في أصلها – ستحل المشكلات الاجتماعية غير اللغوية كالفقر والجهل والحرب.. الخ، ولكن لا شك أن قراءهم تعتريهم خيبة الأمل أو يصيبهم اليأس عندما يدركون آخر الأمر أن «**التحليل الدلالي**» لن يحل لهم مشكلاتهم الاجتماعية على أي وجه من الوجوه(٣).

ولكن الذي لا شك فيه أن الخلط المقصود من استعمال الكلمات – والتفنن في تضمينها إيحاءات مخالفة – مسائل تمارسها مجتمعاتنا المتحضرة على نطاق واسع وخاصة في مجالات الاعلام السياسي والاتصال بالجماهير ولا شك أيضا

أن علماء الدلالة يستطيعون أن يقدموا للاعلاميين وعلماء النفس وغيرهم من المشتغلين بالاتصال الجماهيري عونا صادقا لحل مشكلات انحراف الرأي باساءة استخدام الرموز(٤).

وقد اهتم علماء العرب بدراسة موضوع العلاقة بين اللفظ والمعنى – فقال متى بن يونس لأبي سعيد لا حاجة بالمنطقي الى النحو وبالنحوى حاجة الى المنطق لأن المنطقي يبحث عن المعنى والنحوي يبحث عن اللفظ، فان مرّ المنطقي باللفظ فبالعرض وان مرّ النحوي بالمعنى فبالعرض والمعنى أشرف من اللفظ، واللفظ أوضح من المعنى(٥).

وتناوله اللغويون فكتبوا فيه الرسائل ثم اتسع الأمر بهم واشتدت الحاجة إلى المجامع اللغوية فآل الأمر الى المجامع والمعاجم على أنها مجموعات ضخمة لألفاظ العربية تعكس لونا من ألوان التطور في استخدام الألفاظ.

على أن اللغويين الأقدمين ذهبوا الى اعتبار اللغة الفصحى مقصورة على المستعمل منها في لغة الشعر الجاهلي ولغة الصدر الأول للدولة الاسلامية وفي ذلك إنكار للغة نفسها وجعلها أشبه ما تكون بالتحفة الأثرية التي حرص عليها ويحتفظ بها لأنها علق نفيس شأنها شأن سائر الأعلاق النفيسة والعاديات العتيقة(٦) – وذلك أن اللغة كما تقدم من صنع المجتمع وفي ذلك ما يجعلنا نذهب الى أن هذه اللغة لابد أن تتطور فتساير الزمان والمكان...لأن المشكلة اللغوية تتعقد في حضارة العصر – التي تتطلب أدوات لغوية تترجم عنها ترجمة صادقة وليست اللغة العربية بعيدة عن التطور فالألفاظ العربية كما يدل البحث التاريخي كانت عرضة للتبدل الذي اقتضاه الزمان وتقلب الأحوال والنظم الاجتماعية وما الألفاظ الاسلامية الا لون من ألوان هذا التطور الذي عرض للفظة العربية البدوية القديمة فاستحالت شيئا آخر يقتضيه الدين والبيئة الجديدة.

وحين ننظر في لغة الاتصال بالجماهير التي نستعملها اليوم في أجهزة الاعلام العربي، ممثلة في الخبر والمقال الصحفي والحديث والتقدير الصحفي والمقابلة الاذاعية والتلفازية نجد أنها لغة مباشرة تصل الى الهدف

الذي نقصده بطريقة فورية وتنصب عليه متجنبة اختيار الايحاءات الجمالية والفنية للألفاظ ولإيثارها هذه البساطة والمباشرة فانها تتخلى بالتدريج عن العبارات المقتبسة والأنماط المحفوظة المتوارثة التي يعافها الذهن وتأباها روح المعاصرة.

ومن هنا كانت هذه اللغة الاعلامية تؤثر أن تقول:

عرض للبحث بدلا من عرض على بساط البحث.

وقاتل – بدلاً من خاض غمار القتال... و – اشتد القتال بدلا من حمي وطيس القتال..

و – انتهت الحرب – بدلا من وضعت الحرب أوزارها.

و – صب غضبه – بدلا من صب جام غضبه.

و – نتحدث – بدلا من نتجاذب أطراف الحديث.

وهل منا الآن من يقول: الحرب الضروس أو الموت الزؤام؟ وفي استغنائنا عن كل هذه التعابير التي تشبه (الكليشهات) الثابتة اقتصاد ذهني ومادي هو سمة من سمات لغتنا الاعلامية المباشرة(٧).

كما أصبح الخبر في الصحيفة أو الاذاعة يكيف الأخبار وفقا للقالب الصحفي أو الاذاعي المطلوب – مع حرص على القواعد المصطلح عليها في النحو والصرف والبلاغة وما اليها.

واذا كانت **اللغة الاعلامية** تحرص على مراعاة القواعد اللغوية المصطلح عليها فانها تحاول كذلك أن تحرص على خصائص أخرى في الأسلوب وهي البساطة والايجاز والوضوح والنفاذ المباشر والتأكيد والأصالة والجلاء والاختصار والصحة فأصبحت اللغة الاعلامية تجنح الى الاستغناء عن الكلمات الزائدة كأداة التعريف التي لا لزوم لها مثل شبت النار في القرية بحيث تكون أقوى في لغة الاعلام حين تكون: شبت نار في القرية – أما أدوات التعريف اللازمة فلا تستغنى عنها **اللغة الاعلامية** بحال من الأحوال.

كما تستغنى اللغة الاعلامية عن الأفعال التي لا قيمة لها مثل: قام باعداد بحث بحيث تكون أقوى في لغة الاعلام حين نقول: أعد بحثا.

وتستغنى لغة الاعلام عن الصفات وظروف المكان والزمان

وأحرف الاضافة مثل دمرت السيارتان تدميرا – وتقول لغة الاعلام دمرت السيارتان ومن هنا تؤثر اللغة الاعلامية أن تقول:

– عمارة من ثمانية عشر طابقاً بدلا من عمارة عالية من ثمانية عشر طابقا.

كان من الذين غادروا القطار – بدلا من كان بين الذين غادروا القطار.. الخ، كما تجنح هذه اللغة الاعلامية الى الاستغناء عن أحرف ربط للكلمات فتؤثر أن تقول قال في حديثه بدلا من: وقد قال في حديثه. وتستغنى كذلك عن الأسماء المعروفة فتؤثر أن تقول جاء من الاسكندرية بدلا من جاء من الاسكندرية في الوجه البحري – ولا تميل لغة الاعلام الى الجمل الطويلة وتؤثر أن تقول:

– استغرقت المناقشة نحو ساعتين بدلا من:–
– استغرقت المناقشة مدة تقرب من ساعتين:

ومن أهم سمات **اللغة الاعلامية** استخدام الألفاظ البسيطة الصحيحة الواضحة فتؤثر استخدام الكلمات القصيرة المألوفة على كل ما عداها من كلمات فتستخدم «حريق» بدلا من «أتون» و«سافر» بدلا من «ظعن».. الخ.

وقد تسللت بعض التعبيرات والأساليب الى لغتنا بفعل الترجمة من آداب ولغات أوربية مثل ذر الرماد في العيون – يكسب خبزه بعرق جبينه لا يرى أبعد من أرنبة أنفه – يلعب بالنار – لا جديد تحت الشمس – وألقى المسألة على بساط البحث – وتوتر العلاقات – ويلعب دورا خطيرا في السياسة أو التاريخ أو شئون الحياة العامة – وان هذه القضية تشكل خطرا دائما على السلام أو ان هذا العمل يشكل أزمة من أزمات الأمم المتحدة.

وقد كان من أثر الترجمة الصحفية وهي جزء هام من أقسام الأخبار الخارجية في الصحف العربية استخدام أسلوب جديد لا علاقة له بالأدب بل إن اللغة العربية استخدمت تراكيب جديدة من طبيعة تعبير اللغات الأجنبية ومثال ذلك شيوع استخدام الجمل الاسمية وتناثرها وكأنها وحدات مستقلة فهذه هي طريقة التعبير

الأوربي تماما بالجمل الاسمية المستقلة التي تجعل فيها النقط والوقفات فقرات تالية.

فطريقة تحرير الأخبار الصحفية المترجمة من أجهزة **«التيكرز»** أو المبرقات الصحفية، قد ساعدت على تطوير أسلوب صحفي جديد على اللغة العربية تتناثر فيه الجمل ويستقل بعضها عن بعض وفي وحدات ذات مغزى غير أن هذا الأسلوب الاخباري الصحفي سرعان ما أخذ يغزو فنون الاعلام الأخرى حتى طغى على المقال والتحقيق والحديث والعمود واليوميات وغيرها.

وتقدم أن من الأمثلة الطريفة على الفرق بين لغة الاعلام ولغة الأدب عنصر التكرار الذي يعتبر عاملا هاما للقضاء على الغموض وازدواج المعنى فالصحفي لا يتردد في تكرار كلمات معينة بغرض الوضوح وتبديد كل غموض محتمل.

وفي سنة ١٩٤٠ نشر «بريل» كتابا عن الألفاظ الأساسية في الجرائد اليومية في «مصر» وفي دراسة احصائية للألفاظ الواردة في الصحف اليومية في مصر في المدة سنة ١٩٣٦ وبلغ ما أحصاه من الألفاظ المستعملة – ١٣٦ كلمة وكانت النتيجة التي وصل اليها «بريل» تتفق والنتائج التي تحدث عادة في احصائية الألفاظ في اللغات وهي ورود عدد مرتفع من الكلمات بالنسبة لغيرها.

وأثبت بريل أن خمسمائة كلمة ترد حوالي ٦١٪ من نسبة مجموع الكلمات وأن ألف كلمة ترد حوالي ٧٦٪ من نسبة مجموع الكلمات أي أن ألف كلمة تكون ثلاثة أرباع الثروة اللفظية للكاتب.

ولهذا يذهب أصحاب اللغة الى أن تعليم اللغات يجب أن يسبقه احصاء شامل حتى يعتمد اختيار الألفاظ على كثرة ورودها في الاستعمال ونرى أن هذا الاحصاء ألزم ما يكون في علم الاعلام اللغوي لتحقيق المنفعة العملية للغة.

وقد لاحظ لانداو في دراسة اللغة العربية أن أكثر الألفاظ المختارة في كتب تعلم اللغة العربية لا تفي بالحاجة لأنها تختار على غير أساس عملي.

واستعان لانداو بعدد من مساعديه في احصاء الألفاظ وعمد الى اتمام العمل الذي بدأه بريل

فاختار ستين كتابا من مصر ألفت في موضوعات متباينة لكتاب مختلفين وذلك في التاريخ والاجتماع والاقتصاد ووصف الرحلات وغيرها وقلة في الأدب الرفيع ونشر نتيجة بحثه في كتاب ظهر في نيويورك سنة ١٩٥٦ تحت عنوان احصاء اللفظ في النشر العربي الحديث وقد أثبت ٤٠٠ – ١٢ وحدة لفظية تشمل على حوالي ٠٠ – ٧٢ كلمة.

وجمع في **القسم الأول** من كتابه الألفاظ مرتبة ترتيبا هجائيا وفي **القسم الثاني** رتب الألفاظ على حسب نسبة ورودها ثم أضاف اليها نسبة ورودها في الصحف اليومية عن بريل كما وضح النسبة بين ورودها في المنشور وبين ورودها في الصحف اليومية.

وكانت النتيجة التي توصل اليها أن الخمسمائة كلمة الأولى نسبتها ٥٦٪ من مجموع الألفاظ تقريبا بدلا من ٦١٪ في الصحف وأن الألف كلمة الأولي نسبتها ٧٠٪ من مجموع الألفاظ بدلا من ٧٦٪ كما هي في الصحف.

ويرتبط هذا الاحصاء بالمادة التي يقع عليها الاختيار فلو اختار لانداو من كتب الادب قدرا أكثر ولم يقم للغة الصحف هذا الوزن لجاءت نتيجة الاحصاء مغايرة بعض الشيء كما يقول الدكتور مراد كامل أي لما جاءت كلمة حكومة مثلا في المكان الخامس والعشرين من الترتيب.. ولما جاء لفظ الجلالة (الله) في المكان الثامن عشر.

وكذلك يؤثر تحديد معنى الكلمة في الترتيب فنجده قد اعتبر مثلا الكلمة وصيغ اشتقاقها وتصريفها كلمة واحدة وعد جمع التكسير كلمة لذاتها أما الصفة فقد عدها أحيانا كلمة لذاتها مثل بيضاء وأبيض وأحيانا كلمة واحدة مثل «كبر» وكبير وعد كلا من الظرف واسم الفعل كلمة لذاتها أما أسماء الفاعل والمفعول فقد عدها مع فعلها وعد الكلمة التي تشترك لفظا وتختلف معنى – على حسب معناها مثل «مرشح» في الانتخاب أو من البرد «وقص وقصه أو بالمقص» والجد (**أبو الأب أو الحظ أو الاجتهاد**).

وقد أفاد هذا الاحصاء من ناحية اختيار الألفاظ ونسبة ورودها ولكن تنقص هذه المحاولة دراسة أدق وبحث أعمق وتفصيل أوضح في

إطار علم المنفعة العملية للغة بحيث تتيح فرصة لمن أراد معرفة الألفاظ التي يكثر ورودها في لغة الاعلام الأمر الذي يعمل على انتشار العربية الفصحى لتقف على قدم المساواة مع اللغات العالمية الواسعة الانتشار.

وتمتاز هذه **اللغة الاعلامية** لغة الاتصال بالجماهير أيضا بالمرونة والقدرة على الحركة فهي لغة حركية وهذه الصفة تتمثل في استيعابها لمنجزات الحضارة وروح العلم وواقعية المجتمع الجديد – وهذه المرونة التي تكسبها جمالها والجمال شرط أساسي لأية لغة على أن اللغة الاعلامية العربية تؤثر الافصاح في التعبير عن ذلك كله تارة بالتنقيب في ركائز اللغة عن الكلمات العربية التي تدل من قرب أو بعد على ما طرأ من المسميات، مادية كانت أو معنوية وتارة باستحداث ألفاظ وصيغ من المادة العربية الصميمة تسد الحاجة الى التعبير الحضاري في حياتنا الراهنة يقول محمود تيمور :

ولم يبق كبير جدال في اننا الى الفصحى جانحون وعن الدخيل والعامي متجافون وحسبنا أن الفصحى هي في يومها الحاضر – كما كانت على توالي الحقب في حضارة العرب لغة علم ومعرفة للأمة العربية في رحابها الفسيح.

لذلك بات من واجبنا أن نمكن لهذه الفصحى في ميدان التعبير الحضاري الشامل للحياة العامة في البيت والمصنع والمتجر والسوق حتى يجد الكاتب حاجته منها سهلا منالها حين يتوق الى الافضاء بما يخطر لفكره من معنى أو يعالج وصف ما يقع تحت عينه من أداة.

ولقد كان **للوعي اللغوي** أثر بالغ خلال الحقبة الماضية في امداد الفصحى بالمئات من الكلمات التي عبرت عن جديد الحضارة ومازالت جهود اللغويين والباحثين والمترجمين والكاتبين عامة تتواصل في هذه السبيل ويظهر فيما تنشر الصحف السيارة من أنباء ورسائل وفيما تخرج المطابع من مؤلفات ونشرات.

ولقد كان موقف **مجمع اللغة العربية** من ألفاظ الحضارة موقفا طيبا أقبل على المسميات الدائرة في الحياة العامة يعالج أن يتخذ لأسمائها الأجنبية بديلا مستمدا من الكلم الفصاح وهو نفس الموقف الذي

اتخذه المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي في الرباط في حملته لمحاربة اللفظ الدخيل في العالم العربي، وما نجد ثماره في معجم «**قل ولا تقل**» والذي تطالعنا به مجلة اللسان العربي التي يصدرها المكتب المشار اليه.

وجاء هذا الموقف ضرورة بالنسبة لألفاظ الحضارة وكلمات الحياة العامة مما تمس اليه حاجة الاستعمال في البيوت والشوارع والأسواق اذ الكاتب أو الصحافي انما يكتب كلاهما ليفهم القاريء في المحيط العام فلزام عليه أن يستخدم من اللفظ ما هو مألوف لديه – متعارف عنده فان عدل عن المألوف المتعارف الى غريب من اللفظ غير مأنوس جديد غير شائع أظلم قوله وغم تعبيره وانقطع بينه وبين قارئه خيط الابانة والافهام.

من هذه الكلمات الفصاح ما صارع كلمات دخيلة تمكنت واستقرت حتى لم يكن أحد يحسب أن في المكنة اقتلاعها وإحلال غيرها محلها في مجال الاستعمال وان هذا ليدلنا على أن استقرار الكلمات الأجنبية وثباتها لا يدعو الى الاستسلام لها.. واليأس من تغييرها.. فالمحاولات المتجددة المثابرة كفيلة ببلوغ الغاية.. مادام تغليب الفصيح نزعة النفوس ووجهة الأذواق.

تستعمل في **سورية ولبنان والكويت** كلمة الهاتف مكان كلمة التليفون وتستعمل كلمة الحافلة مكان كلمة الاوتوبوس وفي مصر تشيع في الصحف كلمة الدراجة النارية مكان كلمة الموتوسيكل وكلمة اللافتة مكان كلمة اليافطة.

فان لم تكن تلك الكلمات الأجنبية وأشباهها قد دالت دولتها فانها على مدرجة الاختصار وان لم يكن بديلها من الكلمات الفصاح قد شاع كل الشيوع فانه على وشك أن يكون صاحب غلبة وسلطان(٨).

منذ قليل أخذ بعض الكتاب يتحدثون عن جهاز اخترعه **رودلف كتلير** يفيد المحققين ورجال الأمن في تسجيل ظواهر جسمانية ونفسية تكشف عن كذب القول وزيف الادعاء واسم هذا الجهاز «بزليجراف كيل فارع» فذهب الى تسميته جهاز الحقيقة وسماه كاتب آخر المفضاح والكاتبان كلاهما

يسايران نزعة الافصاح في التعبير بلفظ عربي يؤدي مؤدى ذلك اللفظ الأجنبي.

وفي مناسبة مرور خمس وعشرين سنة على انشاء الطيران في مصر – تنوقلت كلمة «**اليوبيل الفضي**» بقدر ضئيل أما الكثرة من الصحف فكانت تستخدم كلمة العيد الفضي متجافية عن اليوبيل التي كانت الغالبة فيما مضى من زمن قريب.

وفي ساحة اللغة الرياضية – لعبة كرة القدم وجد اللاعبون ومن اليهم من تلقاء أنفسهم بمعزل عن مجامع اللغة وفي غير فرض من أحد في تسمية مايتصل بهذه اللعبة من ظواهرها وأدواتها بأسماء عربية فصاح تغلبت الى شأو بعيد على مقابلاتها من الكلمات الأجنبية التي اقترنت بتلك اللعبة في طروئها على حياتنا الحديثة فكلمة «**الفوتبول**» فازت عليها كرة القدم وكلمة التيم صرعتها كلمة الفرقة أو الفريق وكذلك نتيجة المباراة بين منتخب الهاف تيم والجول والباك ومنتخب والشوط والهدف والظهير حتى لقد أصبح الريفري حكما بلسان عربي مبين(٩).

وفي هذا الصدد نقرأ نبذة كتبها مراسل رياضي في احدى صحف الصباح واصفا مباراة رياضية قال:

الضباب كيف يخيم على الملعب والرؤية عسرة ولم يبق من المباراة سوى ثماني دقائق وأحد الفريقين فائز على الآخر بهدف واحد.. وفجأة تختفي الكرة ويبحث الحكم عنها الى آخر ما جاء في هذه النبذة.

هذا **المراسل الرياضي اللغوي** يستعمل فقرة قصيرة بها أربع كلمات فصيحة هي مباراة للماتش وفريق للتيم وهدف للجول وحكم للريفري.

وهناك مراسل فني يدبج نبذة عن صنع التماثيل في احدى صحف الصباح يقول فيها: الفن والعلم انهما يتعاونان في وحدة الحراريات والخزف وترى في الصورة الفنانة وهي تضع لمساتها الأخيرة لتمثالين صغيرين عن الفلاحة.

استعمال ذلك هو ما يسود الصحافة العربية اليوم من اتجاه جديد نحو التميز للالفاظ الفصاح والسمو بالأسلوب الكتابي(١٠).

ليس بدعا اذن ما نلاحظه من

وفرة الكلمات الجديدة التي صنعها الاعلام واستعملها كُتّابهُ محاولين بها اقصاء الكلمات الأجنبية الدالة على مسميات في ميدان الحياة العامة فالاعلام بذلك يسهم في تحقيق أغراض المجامع اللغوية وهيئات التقريب ويشيع من فصيح الحضارة ما يشيع ويسهم في تطور الوعي والنقمة على الكلمة الدخيلة المطموسة أو العامية المبتذلة تزداد على مرّ الأيام.

بالأمس كانت كلمتا البوستة والبوستجي هما الشائعتان في الاستعمال نطقا وكتابة وما يسوغ اليوم لكاتب أن يكتبهما عادلا عن كلمة البريد والساعي أو الموزع.

وبالأمس القريب أيضا كانت كلمة التايبريتر هي صاحبة السيادة وكادت اليوم أن تنزع عنها سيادتها كلمة «**الآلة الكاتبة**».

على أن المعركة حول الألفاظ الحضارية الدخيلة التي تدور في حياتنا العامة ما لبثت أن أسفرت عن مباراة بين ألفاظ عربية يحاول بعضها أن يتغلب على بعض في الدلالة على تلك المسميات.

ذاعت في مصر كلمة المذياع للدلالة على الراديو وفي لبنان يحاولون أن يستبدلوا بكلمة الراديو كلمة المواج.

وهكذا انتقل **الكفاح اللغوي** من حرب بين الألفاظ العربية والألفاظ الدخيلة الى تنازع البقاء بين الألفاظ العربية أعيانها في مختلف بلاد الناطقين بالضاد بغية انتخاب الأصلح الذي تكتب له الغلبة والشيع وما أكثر الفرق بين الحالين فالمباراة بين العربي والدخيل تهديد بهزيمة لفظ فأما المباراة بين الألفاظ العربية بعضها وبعض فلن تكون نتيجتها الا انتصار اللفظ العربي على أية حال(١١).

وفي **اللغات الأجنبية** نسمع أو نقرأ كلمات متداولة فاذا بحثنا عنها في المعجمات العصرية الحاضرة لتلك اللغات لم نقف لها على أثر وذلك لأن تلك الكلمات لم ترتفع الى مراتب الألفاظ التي توافرت لها سلامة التعبير ومن ثم لم تقرها الهيئات الثقافية ولم تسجلها المجامع اللغوية فهي تستأنى بها حتى يتضح الأمر في شأنها ليكتب لها الرفض والزوال أو يتاح القبول والاستقرار.

يقول محمود تيمور :

«لقد عن لي أن أتمثل مجمعنا

اللغوي هذا قد أنشىء قبل نصف قرن أو يزيد فوردت عليه الكلمات التي كانت شائعة يومئذ من نحو الغازته أو الجورنال أو الروزنامة والاسبتالية والخوجة والوابور واللوكاندة والأجزخانة فاذا هو قد سجلها بحجة شيوعها ومنحها جواز البقاء والاستقرار اما كان ذلك يقطع الطريق على من حاولوا من بعد احلال كلمات فصاح محلّ تلك الكلمات الدخيلة فما كنا نظفر بكلمات الجريدة أو الصحيفة والدراجة والسيارة والمالية ودار الكتب والقطار والفندق والصيدلية».

لقد قطعت اللغة الاعلامية العربية رحلة طويلة كاملة من أجل أن يتحقق لها شكل المستقر المتطور الذي نراها عليه اليوم من خلال صراع الألفاظ والتعبيرات والمصطلحات ومن خلال قيود التزمت والمحافظة ومشاق التعريب والاقتباس والترجمة ومن خلال محاولة الوصول عبر أجهزتنا الاعلامية المختلفة الى القاريء والمستمع والمشاهد.

فاللغة الاعلامية اذن هي اللغة التي تشيع على أوسع نطاق في محيط الجمهور العان وهي قاسم مشترك أعظم في كل فروع المعرفة والثقافة والصناعة والتجارة والعلوم البحتة الاجتماعية والانسانية والفنون والآداب ذلك لأن مادة الاعلام في التعبير عن المجتمع والبيئة تستمد عناصرها من كل فن وعلم ومعرفة.

وقد اكتسبت **اللغة الاعلامية** هذه المرونة من امتياز الفصحى بالعمق الذي يجعلها تنبض بالحياة والذي يجعلها تقوم على الترجمة الأمينة للمعاني والأفكار والاتساع للألفاظ والتعبيرات الجديدة التي يحكم بصلاحيتها الاستعمال والذوق والشيوع واذا كانت لغتنا الفصحى تباهي فيما مضى بالسجع والترادف والكناية والمجاز فانها أصبحت اليوم تحرص على السهولة والجزالة والدقة والوضوح فهذه هي روح العصر وتلك هي مقتضياته كما يقول **الدكتور ابراهيم بيومي مدكور أمين عام مجمع اللغة العربية في القاهرة.**

وعلى ذلك لم تعد لغة الاعلام كما كانت في لغة الصحافة في القرن التاسع خليطا من العامي والدخيل فقد تحقق التحول العظيم بنهضة التعليم وشيوعه وبتوافر وسائل التثقيف والاعلام وبانتعاش الوعي

الجماهيري أيما انتعاش وفتح الطريق أما لغة الاعلام الفصيحة لتتسرب في كل مكان وليكون لها في التعبير الجماهيري سلطان.

وان التحول لفرصة أمام حراس اللغة المحافظين على سلامتها أو على حد تعبير الاستاذ تيمور، لكي يبذلوا جهودهم للاستبدال بالعامي والدخيل من ألفاظ الحضارة بوجه خاص فانهم اذا تضافرت جهودهم في تلك السبيل أمكن لهم أن يحيلوا اللفظ والمجلات والكتب التي تقرأ فتقرع الأسماع في المجالس والأندية والاذاعات! ونتيجة ذلك أن يصبح اللفظ الحضاري طعاما جماهيريا يسوغ في الأفواه كما جرى على الأقلام.

على أن الصحافة وغيرها من وسائل الاعلام قد حققت مايهدف اليه المجمعيون من محافظة على سلامة اللغة العربية وتمكينها وهي قادرة على الوفاء بمطالب العلوم والفنون كما يقول الدكتور مدكور بل ان ذلك رهين الجهد المتواصل الذي يبذل في العالم العربي من أجل مواكبة لغة الضاد لمقتضيات العصر والذي يسعى ليجعلها لغة العلم المتقدم التي بدأت تغرض نفسها الآن على المحافل الدولية ويجب ذكر أن الزعيم الراحل (**جمال عبد الناصر**) رحمه الله قد أسهم بجهد كبير في ابراز هذه الحقيقة عندما ألقى خطابه التاريخي في الأمم المتحدة باللغة العربية ولا نغفل أن الوكالات المتخصصة ومنها هيئة العمل الدولية قد اعتبرت اللغة العربية لغة رسمية في مؤتمراتها.

وعلى ذلك فاننا يمكن أن نقول ان الاعلام والصحافة بوجه خاص قد حققا للغة العربية كل ما كان يأمل فيه المجددون من رجال اللغة وكل ما نادى به الغيورون على هذه اللغة من وجوب تبسيطها بحيث يفهمها أكبر عدد من القراء ومن وجوب تزويدها بالحيوية الكافية حتى لا يضيق بها أحد من القراء بل من وجوب تطويرها حتى تتسع للتعبير عن كل جديد أو مستحدث في الأدب والعلم والفن جميعا.

بيد أن **لغة التعبير الاعلامي** مع ذلك في حاجة شديدة وملحة الى معجم يشمل مجموع ثروتها أي كل ما استوعبته الموسوعات اللغوية العربية القديمة والحديثة من مفاهيم وكل ما تضمنته الكتب العلمية والتقنية العربية على اختلاف أنواعها

قديما وحديثا من مدركات ودلالات اصطلاحية، معجم يشمل هذا كله ويعرضه مرتبا ترتيبا صنفيا باعتبار معاني المفردات والعبارات في تبويب قويم ملائم لعقلية العصر وذوقه يتسنى معه العثور بدون عناء على الألفاظ المؤدية للمعاني التي تتردد في أذهان المشتغلين بالتعبير الاعلامي.

ومن حسن حظ لغة الضاد أن الرأي العام العربي قد وعى حاجتها الى هذا المعجم(١٢) وعبر عن وعيه هذا على لسان أعضاء مؤتمر التعريب الذي انعقد الرباط من ٣ الى ٧ ابريل سنة ١٩٦١ والذي جعل ضمن قراراته التوصية التالية :—

يوصي المؤتمر بوضع معجم معان ليستعين به أبناء العربية في العثور على الألفاظ الدقيقة لما يجول في أذهانهم من المعاني والصور.

هذا المعجم الذي يفتقده رجال الاعلام العرب وتشتد حاجتهم اليه والذي أخذ المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي على نفسه انجازه ضمن التصميم العشاري للتعريب المنشور في شكل أخبار بعنوان «منهاج لتنسيق التعريب في العالم العربي» وقد قام بانجاز هذا المعجم فعلا السيد الأمين العام للمكتب الدائم لتنسيق التعريب الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله وهو كما يقول المؤلف :

كتاب يضم بين دفتيه جميع ألفاظ اللغة العربية مبوبة حسب معانيها تبويبا موضوعيا ملائما لعقلية هذا العصر وذوقه يسهل على الباحث. أن يعثر فيه على الألفاظ المؤدية للمعاني التي تجول في خاطره ويتوقف في التعبير عنها، كتاب يمكن اعتباره معجما للمعاني ومحيطا بكل ما في اللغة العربية من الألفاظ والمعاني بحيث يسوغ لنا عندما لا نجد فيه اللفظ الصالح لمقابلة مصطلح أجنبي أو اللفظ المؤدي لمعنى معين أن نجزم بأن اللغة العربية خلو منه فيمكن حينذاك وضع لفظ جديد(١٣).

وعلى ذلك فان معجم المعاني المنشود للغة الاعلامية ينبغي أن يتجنب الحوشى من الألفاظ وأن يلغي ضِدِّيَّة المفردات المعروفة بالأضداد وذلك بأن يحذف من مدلول اللفظ أحد المعنيين المتضادين فيبقى محتفظا بالراجح بين أهل اللغة أو بالدقيق أو الفريد

أو النادر الذي يصعب وجود لفظ آخر يؤديه أو الذي تشتد اليه حاجة التعريب.. مثال ذلك أن يحذف من مادة «بيع» معنى الشراء فتبقى مختصة بمعنى البيع كما يحذف من مادة الشراء معنى البيع وأن تختص مادة خفي بمعنى الستر والكتمان وان يحذف منها معنى الظهور والاعلان.. الخ.

وكذلك ينبغي الاقلال من معاني الكلمات المشتركة بحذف معانيها الغريبة أو النادر استعمالها بها مما لا تحتاج اليه اللغة العربية لوجود ألفاظ أخرى تؤديه ومثال ذلك أن يحذف من مدلول كلمة راموز معنى البحر فتبقى مقصورة على الأصل والنموذج.

كما يجب التمييز بين معاني المترادفات في لغة التعبير الاعلامي باظهار الفوارق الدقيقة الموجودة بينهما أصلا في اللغة والمطموسة باقتضاب المعاجم شروحها وايجازها

اذ كثيرا ما تورد المعاجم العربية مرادفا في شرح لفظ يقصد بقصد تقريب معنى هذا الأخير للفهم لا على سبيل تحديد مدلوله بكيفية دقيقة أكاديمية.

ومثال ذلك «تجمأ» في ثيابه فقد ورد شرحه بمفردة واحدة هي فعل تجمع في لسان العرب لابن منظور وفي تاج العروس للزبيدي وفي المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة وفي متن اللغة لأحمد رضا لكن عندما يتعرض اليه معجم المعاني يورد معناه بالشرح التالي(١٤).

وتجمع وانكمش حتى توارى في ثيابه فلم يعد يظهر منه الا لباسه ومن شأن أمثال هذا الشرح أن يبعث أمثال هذه المفردة من القبر الذي دفنتها فيه الشروح المعجمية المقتضبة والأضمن أن يترك فعل تجمع ويستعمل بدله فعل تجما ليعني به ما يعنيه الأول تماما بدون زيادة ولا نقصان ولا أدنى فرق.. وكذلك يمكننا أن نقول عن فعل تبدأ – الذي شرحته المعاجم بمفردة واحدة هي فعل «بدأ» لا غير بينما للفعل الأول معنى أدق من الثاني وذلك أنه فعل المطاوعة من بدأه بمعنى جعله يبدأ قبل غيره أي بتعبير العصر أعطاه الأسبقية فيمون شرحه على الأصح وبالتدقيق خول له – أو خول لنفسه أن يبدأ قبل غيره فبدأه ومن شأن هذا الشرح

أن يجنب الكاتب الوقوع في كثير من الأخطاء التي قد تنشأ عن استعمال تبدأ بمعنى حيث لا يسوغ لغة هذا الاستعمال وعن استعمال اسم المفعول مبدأ بمعنى مفضل بينما قد يكون الشيء مبدأ من غير أن يكون مفضلا والعكس بالعكس.

وفي الحديث الشريف **«الخيل مبدأه يوم الورد»أي يبدأ بها في السقى قبل الابل والغنم** ولذلك يجتنب معجم المعاني نقل الشرح المقتضب الوارد لهذا اللفظ في المعاجم العربية القديمة والحديثة بهذا النص «مقدم مفضل» ويشرحه على النحو التالي:

رجل مبدأ مخول له أن يبدأ قبل غيره وشيء مبدأ حقيق بأن يبدأ به قبل غيره ويضع قبالته **المصطلح الفرنسي Prioritaire والمصطلح الانجليزي Priority holder** ، وتأسيسا على ذلك، نجد أن معجم المعاني(١٥) يحقق ما سبق أن أكدنا عليه من ضرورة وجود معجم يفيد منه رجال للتعبير الاعلامي محققا المنهج المنشود في دراسة اللغة الاعلامية عن طريق البحث الاستقصائي عن المفردات في مختلف كتب اللغة العربية القديمة منها والحديثة والصحف والمجلات ثم تجريد مصطلحات معاجم الترجمة الفرنسية – العربية – الانجليزية – العربية المختصة منها وغير المختصة وتصنيفها حسب مواضيعها.

ويعتمد هذا المنهج كذلك على الاستقصاء في بحث المعاجم العربية والأجنبية القديمة والحديثة عن مفردات المعالج والحرص بقدر الامكان على مقابلة المفردة العربية باللفظ الأجنبي كما ثبت في هذه المقابلة.

وبذلك يتمكن **التعبير الاعلامي** من استخدام لغة دقيقة – المعنى والمبنى من جهة ويسهم في تعميمها من جهة أخرى – عن طريق سعي وسائل الاعلام لتحقيق وظائفها الرئيسية من رأي وخبر حتى لدى بعض الصحف التي تعتبر صحيفة رأي أكثر منها صحيفة خبر وبالطبع يغلب على صحافة الرأي العام السياسي والاجتماعي الذي يهم المواطنين في حياتهم اليومية بالشئون العامة في المجتمع سياسية كانت أم اجتماعية أو الى جانب هاتين

الوظيفتين وهما الخبر والرأي أخذت وسائل الاعلام تسهم في نشر وتنمية الثقافة ولا سيما الأدب ولذلك أصبحت لها وظيفة ثقافية ونافست «**الكتاب**» منافسة شديدة في أداء هذه الوظيفة بحكم أنها أرخص ثمنا وأكثر انتشارا وأسهل قراءة من الكتب ولذلك قلما نرى أديبا لا يكتب في الصحف ذلك لأنها أقوى وسائل الاتصال بالجماهير وان كانت الأجهزة الآلية كالاذاعة والتلفاز أخذت تنافس الصحافة أيضا في شتى وظائفها ومع كل ذلك فان الكلمة المكتوبة لاتزال تحتفظ بقيمتها وثباتها عند الجماهير وهذا هو السبب في أن الاذاعة والتلفاز لم يستطيعا القضاء على أجهزة الاتصال الأخرى بالجماهير.. فالكلمة المكتوبة في الصحف تتيح للانسان أن يقف عندها ليفهمها على مهل.. ويناقشها بينه وبين نفسه.. وفي كل هذا لا تزال القراءة أعمق وأوضح وسيلة للمعرفة والفهم والثقافة.

وبناء على ذلك نلاحظ أن **الكتب والصحف والمجلات** لم تختف كأجهزة للثقافة ونشر المعرفة وفي مجال الأدب لم تكتف الصحافة بانشاء مجلات أسبوعية أو شهرية متخصصة لنشر الانتاج الأدبي والفني بل نرى الصحف اليومية والأسبوعية تخصص أجزاء منها أو ملحقات خاصة بشئون الثقافة والأدب والفن وكانت فكرة الصفحة الأدبية الأسبوعية قد انتشرت في الصحافة العربية من سنوات.

وكثير من كتب الثقافة والأدب والنقد الموجودة الآن ضمن تراثنا الثقافي العام كانت في الأصل مقالات نشرت في الصحف ثم جمعت بعد ذلك في الكتب ولاتزال تعتبر من الكتب العامة في التثقيف العام مثل.. المنتخبات لأحمد لطفي السيد وفي أوقات الفراغ **للدكتور محمد حسين هيكل** وحديث الأربعاء بأجزائه الثلاثة **للدكتور طه حسين** ومطالعات في الكتب والحياة **لعباس محمود العقاد وحصاد الهشيم للمازني وغيرها.**

وعندما نتبين قيمة هذه الكتب التي ذكرناها وتأثيرها في الأجيال المتعاقبة نستطيع أن ندرك الخدمة الكبيرة التي تؤديها الصحافة للغة والفكر في المساهمة في نشر أقلام الكتاب القادرين.

وصفوة القول أن للصحافة وأجهزة الاعلام تأثيرا كبيرا على اللغة فمن المؤكد أنها هي التي خلصت النثر العربي من الزخارف

اللفظية كالسجع والطباق وغيرها من المحسنات التي كانت تعتبر عبئا على التعبيرات وأحلت محل هذا الأسلوب المزخرف المنمق – الأسلوب المرسل السهل السريع الذي يحرص على المادة الفكرية والعاطفية والتعبير عنها أكثر مما يحرص على البهرجة اللغوية والزخرفة اللفظية وكان للصحافة فضل كبير في خلق لغة الاعلام التي تجمع بين البساطة والجمال وسرعة الأداء والتعبير.

الهوامش .

---

(١) هنتر هينزه: سلطان الكلمة (ترجمة) عبد الغفار مكاوي، في مجلة الفكر المعاصر، العدد ٦٤ – القاهرة ١٩٧٠م ص ٣

(٢) The Folklore of Capitalism

(٣) The Constitution of the Founders of the Country.

(٤) د. ابراهيم امام العلاقات العامة والمجتمع ص ١٧٠ (المرجع السابق).

(٥) أبو حيان التوحيدي: المقابسات (المطبعة الرحمانية) ص ٧٤.

(٦) ابراهيم السامرائي التطور اللغوي التاريخي. (القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية: ١٩٦٢)، ص ٣٩.

(٧) فاروق شوشة في مجلة الهلال ابريل ١٩٧٠ – القاهرة، ص ١١٨.

(٨) محمود تيمور معجم الحضارة ص ص ٥ – ٨.

(٩) المرجع نفسه، ص ٧.

(١٠) المرجع نفسه، ص ٨.

(١١) المرجع نفسه، ص ١٣ – ١٠.

(١٢) مقدمة المعاني للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله، ص ٢.

(١٣) المرجع نفسه، ص ٣.

(١٤) المرجع نفسه، ص ٤.

(١٥) المرجع نفسه ص ٤.

العمل بغير اخلاص ولا اقتداء كالمسافر يملأ جرابه رملاً يثقله ولا ينفعه.

«ابن القيم»